أبو بكر الآجري

أعلام الحديث

الحافظ أبو بكر الآجري

هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي العابد الزاهد الحافظ ذو التصانيف النافعة.

نشأ بدرب الآجر [1] ببغداد نشأة من يرجون تجارة لن تبور. فبكر إلى مجالس علماء بلدته وهو يتلو: اللهم بارك لي في الغدو والبكور. ولازم الحشمة والوقار والورع المتين. وسلك في الزهد والعبادة سنن السادة السالفين. وجد في القيام في جوف الدياجي قانتا. يتلو بلسان التذلل والاعتذار والرجا:

اتخذ طاعة الإله سبيلا :: تجد الفوز بالجنان وتنجو
واترك الإثم والفواحش طرا :: يؤتك الله ما تروم وترجو

وسمع وهو حدث يافع أبا مسلم الكجي الذي فاق محدثي عصره. وأقر له بالإمامة والصدارة أبناء دهره. فحصل في سن مبكرة الحديث بالأسانيد العوالي. وتفرد عن أقرانه وذويه بأوساط المعالي.

ثم صحب بعده أئمة تشد إليهم الرحال ويقصدون. من القوم الذين يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. فلازم أبا بكر جعفر بن محمد الفريابي وزاحم بركبتيه ألوف الحاضرين مجالس أبي محمد يحيى بن صاعد حامي جناب الشرع من

(1) درب الآجر محلة كانت ببغداد من محال نهر طابق بالجانب الغربي، سكنها غير واحد من أهل العلم، وهو الآن خراب. ينسب إليها: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري الفقيه الشافعي.

الحديث المفترى. وما برح يرتحل في الأمصار يطلب المزيد. حتى حوى من الحديث والآثار فوق ما يريد. ولسان حاله يقول:

وما لي حالة أرجو بقاها ... سوى التشمير في طلب المعالي
نظرت فلم أجد شيئا بعيني ... من الدنيا يزيد على خلالي

واشتاقت نفسه إلى المجاورة سنة بحرم الله الأمين. فأمه فحج واعتمر ولما هم بالخروج نودي: أردت سنة وأردنا ثلاثين. فأقام بمكة وصار شيخها ومفيد حجاجها والقاطنين. على خلق أرق من النسيم. ومحيا تعرف فيه نضرة النعيم.

وغدت مجالسه بكبراء أهل العلم صباحا مشرقا. وأمست أوقاته غيثا بالخيرات مغدقا. وأذاع أريج ثناءه مسك الليل وكافور الصباح. وخجل عند ذكره كل مناظر معاند وكبش نطاح. ووضح برهان أهل السنة وتعوذ من الوسواس الخناس. ونادي لسان الحق: مروا أبا بكر فليؤم الناس.

شيوخه:

سمع الحديث من كثير من الأئمة العلماء الأعلام. ممن ذاع صيتهم ببغداد والبصرة والكوفة وواسط ومصر والشام.

إبراهيم بن عبد الله بن مسلم بن ماعز أبو مسلم الكجي البصري (ت 292) وإبراهيم بن محمد بن الهيثم أبو القاسم القطيعي الكرخي (ت 301) وإبراهيم بن موسى بن إسحاق الجوزي أبو إسحاق التوزي (ت 304) وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد أبو عبد الله الصوفي (ت 306) وأحمد بن سهل بن الفيرزان أبو العباس الأشناني المقرئ (ت 307) وأحمد بن عبد الرحمن بن مرزوق بن أبى عوف أبو عبد

الله البزوري (ت 297) وأحمد بن عمر بن موسى بن زنجويه المخرمي أبو العباس القطان (ت 304) وأحمد بن عيسى بن السكين بن عيسى بن فيروز أبو العباس البلدي (ت 323) وأحمد بن محمد بن زياد ابن بشر بن درهم أبو سعيد بن الأعرابي (ت 340) وأحمد بن محمد بن يوسف بن شاهين أبو عبد الله الشيباني (ت 301) وأحمد بن محمد بن عبد الكريم بن يزيد بن سعيد الفزاري أبو طلحة البصري وأحمد بن يحيى بن إسحاق الحلواني أبو جعفر البجلي (ت 296) وإسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان أبو يعقوب الأنماطي البغدادي (ت 302) وبنان ابن أحمد بن علويه أبو محمد القطان جار الدارقطني (ت 301) وجعفر ابن إدريس القزويني أبو عبد الله المكي إمام الحرم (ت 315) وجعفر بن محمد بن يعقوب أبو الفضل الصندلي (ت 318) وجعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض أبو بكر الفريابي (ت 301) وحامد بن محمد بن شعيب بن زهير أبو العباس البلخي (ت 309) والحسن بن زكريا بن أسد أبو علي السكري والحسن بن علي بن إسماعيل أبو سعيد الجصاص البغدادي (ت 301) وغيرهم الكثير.

ثناء أهل العلم عليه:

- قال الخطيب البغدادي: " كان ثقة صدوقا دينا ".

- وقال ابن البنا: " كان إماما ناصحا، وورعا صالحا، وكلامه نيرا واضحا ".

- وقال السمعاني: " كان ثقة صدوقا دينا ".

- وقال ابن الجوزي: " كان ثقة دينا عالما ".

- وقال ابن الأثير: " حافظ من المحدثين ".

- وقال الذهبي: " الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، كان صدوقا خيرا عابدا، صاحب سنة واتباع ".

وقال - أيضا -: " الإمام المحدث القدوة، كان عالما صاحب سنة، دينا ثقة ".

وقال - أيضا -: " كان فقيها محدثا أثريا ".

وقال - أيضا -: " له تصانيف حسنة، كان من الأئمة ".

- وقال ابن كثير: " كان ثقة صادقا دينا ".

- وقال ابن السبكي: " الفقيه المحدث ".

وقال ابن مفلح المؤرخ: " كان من الفقهاء الكبار ".

- وقال ابن العماد: " الإمام المحدث الثقة الضابط ".

- وقال ابن خلكان: " كان صالحا عابدا ".

تصانيف الآجري:

- كتاب (أخبار عمر بن عبد العزيز).
- كتاب (أخلاق حملة القرآن).
- كتاب (أخلاق العلماء).
- كتاب (أدب النفوس).
- كتاب (الأربعين في الحديث).
- كتاب (تحريم النرد والشطرنج والملاهي).
- كتاب (التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة).
- كتاب (تغير الأزمنة).

- كتاب (التفرد والعزلة).
- كتاب (التهجد).
- كتاب (التوبة).
- كتاب (الثمانون في الحديث).
- كتاب (ذم اللواط).
- كتاب (الشبهات).
- كتاب (شرح حديث الأربعين).
- كتاب (الشريعة) وهو أجل وأفخم وأنفع كتبه مطلقا.
- كتاب (صفة قبر النبي).
- كتاب (الغرباء).
- كتاب (فرض العلم).
- كتاب (قيام الليل وفضل قيام رمضان).
- كتاب (ما ورد في ليلة النصف من شعبان).
- كتاب (المختصر في الفروع).
- كتاب (مسألة الطائفين).
- كتاب (النصيحة في الفقه).
- كتاب (وصول المشتاقين).

وفاته:

ولم يزل الآجري مجاورا للحرم ملازما لعبادته. متخليا عن الدهر بعزلته. ناهجا منهاج سؤدده وسعادته. قانعا بقناع الزهد والكفاف. ومكتسيا برداء الصون والعفاف.

قال محمود بن عمر العكبري: " لما وصل أبو بكر الآجري إلى مكة استحسنها واستطابها؛ فتحسن في نفسه أن قال: اللهم! أحيني في هذه البلدة ولو سنة، فسمع هاتفا يقول: لم سنة؟! بل ثلاثين سنة، فلما كان في سنة الثلاثين سمع هاتفا يقول: يا أبا بكر! قد وفينا بالوعد، فمات تلك السنة "[1].

وفي مستهل المحرم سنة ستين وثلاثمائة من الهجرة المصطفوية. أتاه وافد المنية. فنادى روحه الزكية. ودفن بالبلد الحرام. في مقبرة المعلى ذات المقام.

ولما دعاك الله لبيت أمره ... وعيشك في الدنيا حميدا مسددا
تبدلت بالدنيا مقاما مقدسا ... سقى الله جدثا حله صوب رحمة

فأصبحت جار الله والجار يكرم ... فلقيت عمرا بالسعادة يختم
هنيئا لك الحظ الذي لا يصرم ... وأسكنه الفردوس فيمن ينعم

(1) ابن الجوزي، المنتظم، 7 / 55.

أعلى الله في مدارج الرضا مرقاه. وجعل دار الخلد مستقره ومأواه.[1]

* * *

(1) الكوكب الدري في ترجمة الإمام أبي بكر الآجري ، البداية والنهاية (270/11)، وتاج العروس (2447/1)، وتاريخ الإسلام (2690/1)، وتاريخ بغداد (243/2)، وتذكرة الحفاظ (936/3)، والرسالة المستطرفة (112/1، 102، 51، 43)، وسير أعلام النبلاء (133/16)، وشذرات الذهب (35/3)، وصفة الصفوة (470/2)، وطبقات الحفاظ (379/1)، وطبقات الشافعية (149/3)، والعبر في خبر من غبر (318/2)، والعقد الثمين في أخبار البلد الأمين (3/2)، والفهرست (301/1)، وكشف الظنون (523/1، 52، 37، 28 و1433/2، 1430، 1255، 1037)، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان، ومعجم البلدان (51/1)، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد (389/2)، والنجوم الزاهرة (60/4)، وهداية العارفين (470/1)، والوافي بالوفيات (300/1)، ووفيات الأعيان (419/3).